بسم الله الرحمن الرحيم

٢٩/ ٧/ ١٤٢٤هـ

إلى أبي يوسف الأخ المكرم عبد الرحمن

وفقه الله لكل خير وزاده بنور الإيمان والتقوى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد اطلعت على السفر الذي أسفر ما أنت عليه من محبة هذه الدعوة المباركة وقادتها وأعلامها تحت هذا العنوان الذي طابق الاسم مسماه واللفظ معناه، فجزاك الله خيراً فقد تصفحته على عجل في جلسة قصيرة وظهر لي ما يوجب الكتابة إليكم وهي بعض الأسباب التي كانت من عوامل انتصار الدعوة أجملها لك فيما يلي:

أولاً: تطلع الناس إلى وحدة إقليمية ووحدة عقدية، حيث كان المجتمع قد تشعبت به الآراء وتمزقته الإمارات الصغيرة مما أدى إلى التناحر والتدابر والتقاطع، فكانت البيئة توحي بضرورة إيجاد قيادة عامة تضم شتات الأقاليم وتعلنها إمامة كبرى، فقد كان في حرب الدرعية للرياض قرابة ربع قرن مما أوهن الجميع وإزال عنهم هيبة الوحدة العربية؛ لذا كان انقياد الأقاليم للإمام الأعظم السلطان القائم على وحدة الأمة وجمع كلمتها عاملاً أعظم من عوامل نجاح الدولة.

ثانياً: أن الشيخ ـ رحمه الله ـ لم يتحمل مسؤولية الحكم والسياسة مباشرة بل نصب نفسه مستشاراً ومعلماً وناصحاً وداعياً إلى الله، ولم يكلف نفسه ما تطلبه الإمامة الكبرى من تعرجات ومكر ودهاء وحرب وسلم، بل ترك الأمر لغيره، فكأن الشيخ يهيئ نفسه لأمر أحوج إليه إلى الاندماجية ومخالطة سواد الناس والقيام بالتدريس، فلو اشتغل بالحكم لكان عائقاً من ناحيتين:

١ ـ ناحية تخليه عن التعليم والتوجيه ومخالطة طبقات الناس.

٢ ـ أنــه قد يكون محلاً لإدارة الحكم، وأنــه إنما قام بالدعوة من أجل زعامة وقيادة وحكم يرثها أبناؤه من بعده، فلعل اختيار الشــيخ فيما رضيه لنفســه من قيامه بواجب التعليم والإرشــاد للولاة عاملاً من عوامل نجاح أسباب الدعوة.

ثالثاً: أن المحتد ورفيع النســب له مكانة خاصــة في النفوس بالانصياع والانقياد واعتبار المتكلم من أرباب القمم العربية، فالشــيخ ـ رحمه الله ـ تميمــي، وبنو تميم لهم القدح المعلّى في الأصالة العربية والزعامة القومية، فنســب الشــيخ إلى هذه القبيلة ممــا يجعل الناس يأخــذون ما يقوله بعين الاعتبار، وقد يدافع بعض من لم يقتنع بدعوة الشــيخ عن الشــيخ تعصباً وحماية للنيل من القبيلة أو بعض أفرادها فالمحتد والنســب يعتبر عاملاً من عوامل قبول الداعية.

رابعاً: أن الشيخ ـ رحمه الله ـ ركز في تعليمه على جانبين مهمين:

الجانب الأول: الجانب العقدي وتحرير الأمة من الوثنية والقبورية، فكانت كتبه كلها أو جلها فــي بيان التوحيد وما يضاده، وهو أعني التوحيد عمل تجريبي أو ميداني يباشــر أربابه تطبيق ما عملوه، ومن ذلك هدم المشــاهد والمزارات، وتلقين العامة معنى لا إله إلا الله، وبيان شروطها وأركانها وما يضادها.

الجانــب الثاني: جانب التفقه ويراد منه تنفيذ أحكام الشــرع في الرغبة بواسطة القضاء والإمامة العظمى، فهذا يؤهل طالب العلم لأن يكون قاضياً تحت الولاية. فهذان الجانبان مــن التعليم وحدا الأمة وأبرزاً احتياجها إلى هذين الجانبين احتياجاً يباشر أربابه ما تعلموه وعلموه ولم يتوسع الشيخ في صنوف المعارف وفنون العلم، بل وجه اهتمامه في كتبه وتعليمه على هذين الجانبين، فهذا من أسباب قبول الدعوة وعدم الاختلاف.

وهذا لا شــك من وجود بقايا مما عليه الناس قبل بزوغ الدعوة النجدية الوهابية، فالســاحل الفارسي وما حوله ضل معتقداً اعتقاد الرافضة على ما

كان عليه ولم يهتدِ منهم مهتد فيما نعلم، ويزداد المكر والغيظ والحسد لدى أطراف تلك البلادِ حتى كان ضحيتها الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود على يد الرافضي العراقي، وكما قيل:

أرى خلل الرماد وميض نار
ويوشك أن يكون له ضرام

وقد اشتدت في الآونة الأخيرة وحدة القوم واتجاهاتهم محاولة في إعادة دولة القرامطة أو بني الأخيضر.

ومن الناحية الجنوبية لا تزال طائفة الباطنية الإسماعيلية، أو ما يدعون بالمكارمة وهم يشكلون دولة في وسط دولة، لها أنظمتها السرية وارتباطها بدول أجنبية من ذلك الحين إلى يومنا هذا، وهم يصطادون في الماء العكر، فهم الذين قاموا بنصرة سعود بن فيصل على أخيه عبد الله، مع أن البيعة كانت لعبد الله بن فيصل، وما موقعة الحائر في التاريخ نكرة لا تعرف فقد كان لهم قوة ضاربة وسلطة نافذة قبيلة ومذهبي، فهناك من أقوى القبائل الجنوبية الشرقية من كانت ضد الدعوة ولا تزال، أما في الحجاز فحدث ولا حرج عن صنوف من البشر وألوان من المعتقدات يتحينون الفرص لإعلان بدعهم وإبراز مكنون ما هم عليه قبل الدعوة وبعدها، ولولا السلطة والحكم الصارم لرأيت أمراً عجيباً في مكة والمدينة، بل وبلاد الحجاز عامة.

ها نحن نسمع ونرى ما يدغدغون به الدولة من متطلبات حول الإذن لهم بالتنفس العقدي والمسلك الصوفي أو القبوري، فهم يرخون عنانهم ويقبضونه أحياناً، وأغرب ما سمعت أن رجلاً من تجار تلك البلاد قد أقام خطاً بالإسفلت من المدينة المنورة إلى الأبواء حيث قبرت أم رسول الله ﷺ وذلك لتسهيل زيارتها والتعبد عند جدثها أن كان لها جدث هناك، والسلطة تعرف ذلك ولكنها السياسة والمداراة، وممن يتربص بالدولة والدعوة ما يدعون بالنخاولة وهم من الرافضة. وكم وقع لهم من واقعة في محاولة انتفاضة أو الاستزادة من معطيات الزمن، ونظرة الدولة إلى الحكم والإدارة

أكثر من رعايتها لحفظ العقيدة وتنفيذ أحكام الله في أرباب البدع وأصحاب الطرق فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وتعلم أخي الكريم أننا في عصر تداعت علينا فيه الأمم وتكالب علينا فيه الأعداء، وصار القابض على دينه فيها كالقابض على الجمر، وكثر من شربوا من مشارب الغرب، وصار لهم نفوذ في الحكم والسياسة، وكثر المتمسحون بالدين رغبة بحطام الدنيا. فنسأل الله أن يهب لدينه مناصراً وناصراً، وأن يصلح آخر هذه الأمة كما صلح سلفها. والله أعلم وأحكم.

كاتبه

إسماعيل بن سعد بن عتيق